مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الثالث عشر العدد الرابع 2023

ISSN:2707-5672

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
1	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
2	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
3	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
4	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
5	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
6	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
7	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
8	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
9	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
10	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

الاشراف اللغوي
م.د اسعد رزاق يوسف اللغة االعربية
م.د حسن كاظم حسن اللغة الانجليزية

ادارة النظام الالكتروني: م.م محمد كاظم

الاخراج الفني: م. علي سلمان الشويلي

المحتويات

ت	اسم الباحث وعنوان البحث
1	الحضور الشعري والنقدي للمؤلف أ.د. عبد الكريم خضير عليوي السعيدي
2	مُسْتَوَى مَهَارَاتِ التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ عِنْدَ طَالِبَاتِ الصَّفِّ الخَامِسِ العِلمِيِّ أ.م.د: عبد الله جميل منخي الجابري
3	المرونة العقلية لدى طلبة الجامعة أ. د إنعام قاسم الصريفي نور محمد جابر
4	نسق الاسناد في أصول الكافي أ.د.حسين علي الدخيلي سارة علي لفتة
5	شخصية المكان في رواية أصوات من هناك لـ نعيم ال مسافر أ.د. أحمد حيال م.بيداء جبار الزيدي
6	الشخصيةُ في شعر جميل بثينة أ.م.د. حميد فرج عيسى
7	سياسة وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيرنز تجاه القضية اليونانية تموز 1945- كانون الثاني 1947 ا ا.د. زمن حسن كريدي الغزي م.م تحسين شناوه شمخي جابر العبادي
8	البعد الاقتصادي لجرائم المخدرات في العراق دراسة جيوسياسية ماهر حيدر نعيم الجابري أ. د لطيف كامل كليوي
9	تمثلات الشخصية المأزومة في الرواية الديستوبية (الرواية العراقية انموذجاً) م. رشا قاسم فياض أ. د. كاظم فاخر حاجم
10	الحاجة الى التجاوز لدى رؤساء ومقرري الاقسام العلمية في جامعة ذي قار علا شمخي كريم أ.م.د عبد العباس غضيب شاطي
11	التقانات الحديثة ودورها في ادارة مياه بحيرات الاسماك للحد من تلوث الماء الارضي وتملح ترب بعض المقاطعات الزراعية في مركز قضاء المدائن باستعمال RS– GIS

أ.م.د علي مجيد ياسين	
اتجاهات طلبة المرحلة الاعدادية نحو التعلم الالكتروني م.م سجى عادل عبد العباس القره غولي م.م حسين صاحب ساهي	12
الآليات السردية للحدث العجائبي في كتاب (حكايات شعبية) لأحمد زياد محبك اختياراً أقسام ناصر حسن أ.د. ضياء غني العبودي	13
قوة الارادة لدى طلبة جامعة ذي قار زهراء حسين مجيد م.د عبد الخالق خضير عليوي	14
حكم التبني دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون م.د. محمد هاشم عبد	15
فرانسوا جيزو وافكاره عن التاريخ المسيحي (1787-1874) أ.م.د. نرجس كريم خضير	16
نقد النقد المقارن في الدرس الأكاديمي العراقي تجربة عبد المطلب صالح أنموذجا م. د. جليل صاحب خليل الياسري	17
المقومات الجغرافية لصناعة طحن الحبوب في محافظة ذي قار د. صادق علي العبادي	18
تقنين مقياس الاستخدام الاجتماعي للغة لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد بالبيئة العراقية م. م سيروان ولي على ا.د اسامة مصطفى فاروق ا.د بيريفان عبدالله المفتي	19
البيت السائر في أشعار الشواعر (كتب الحماسة اختياراً) م.د. حمزة صبيح عبد م.د. منتظر عبد الحسين محسن	20
براعة الاستهلال واستحضار المثل بين الأخطل والكميت (دراسة موازنة) م.د نوال مطشر جاسم	21

المقاربة النسقية السيميائية في النص الشعري قصيدة إلى (جميلة بوحيرد) لبدر شاكر السياب (اختياراً) د.حازم هاشم منخي	22
التفاؤل الاستعدادي لدى المدرسين والمدرسات إيمان محمد عذافه أ . د عبد الباري مايح الحمداني	23
الالتفات في شعر امينة العدوان دراسة تحليلية لينا عبدالحسن مشحوت المنهي وحيد كريمي‌راد مسعود باوان‌بوري	24
الأنماط الثيمية في المذكرات الاستشراقية وجبة المساء لأندريه ميكل اختيارا م. د. محمد جاسم محمد عباس الأسدي	25
Semantic Relational Structuring in Some Excerpts of Zelensky's Speeches on the Russian-Ukrainian War: A Semantic Analysis Assist. Prof. Dr. Ahmed Manea Hoshan,	26
A Syntactic Study of Iraqi EFL Postgraduate Students' Academic Writing Asst. Prof. Hasan Kadhim Hasan Ali Abed Al Kareem Hasson	27
The Effect of Gender on the Transitivity in William Golding's "The Inheritors" Raad Shakir Abdul-Hassan Zahraa Ali Maseer	28
Montage in Modern Novels: Sinan Antoon's The Book of Collateral Damage as a Sample Zeenat Abdulkadhim Mehdi Alkriti	29

JOURNAL OF THE COLLEGE OF EDUCATION FOR HUMANITIES, VOLUME 13, ISSUE 4, 2023
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (13) العدد (4)2023

شخصية المكان في رواية أصوات من هناك
لـ نعيم ال مسافر

أ.د. أحمد حيال
ahmedheyal70@gmail.com

م.بيداء جبار الزيدي
dr.beida.jaber@utq.edu.iq

قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ذي قار، العراق

الكلمات المفتاحية: شخصية المكان ، أصوات من هناك، الفاعليّة، الصوت، التشخيص

الملخص

يقوم هذا البحث في رواية(أصوات من هناك) ل نعيم ال مسافر ، على محورية مهمة هي أن المكان خرج عن مجرد الإحتواء الى التفاعل والإستقلال حتى غدا شخصية بذاته، له دور فعّال في أنسنة موجوداته الاحيّة، وبعث صوت دلالي وصدى مؤثر ،ينصهر في الحدث أو يتموج في الزمان بحيث تختلط أصوات الواقع بالوهم والمعتقد والخرافة في ثلاثية(القرية،والتل،المكان) وذلك أثناء عرض فكرة :السحر ،وأثرية المكان.

The character of the place in the novel Voices from There by Naeem Al Musafir

Ahmed heyal jehad Baydaa jabbar hayal

Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, Thi Qar University, Thi Qar, Iraq

Keywords: the character of the place, voices from there, effectiveness, sound, diagnosis

Abstract

research in the novel (Voices from There) by Naeem Al Musafir is based on an important pivot, which is that the place went beyond mere containment to interaction and independence until it became a character in itself, having an effective role in humanizing its living beings, and emitting a semantic voice and an influential echo, melting into the event. Or it undulates in time so that the sounds of reality mix with illusion, belief, and myth in the trilogy (the village, the hill, the place), while presenting the idea of: magic, and the archaeology of the place

المقدمة

لم يعد المكان مهمشــاً في الدراســات الحديثة, ولم يعد يُدرس تقليدياً على أنه مجرد وعاء يتم الاتكاء عليه ليحتوي ألفة أو عدواة, أو محدد بحدود فيزيائيّة ومطلق من الألفة والعداوة أو مطاطاً للإتحاد بالزمان فقط. بل أصــبح مؤولاً بجغرافية مموهة بالأفكار، وأخذ أبعاداً فنيّة أقصــى من ان تحدّه أطّر متناهية, لقد أمتلك حركية لمسناها في رواية (أصوات من هناك) إذ تحكي الرواية عن أعراف وتقاليد جنوبية شائعة في أرياف وقرى الجنوب في شــبكة من الشــخصــيات متلونة الصّــور يجمعها خيط (المكان) (القرية,والتل, والنهر) وتحيطها غرائبية توهم القارئ في شــــرك معتقدات الســــحرة، وتعاويذهم، ثمّ تخرج الى خرافية ســــحريتها، وأن الأمر دبّره بعض سُــــرّاق التحف الأثريّة حتى يتجنب الناس الاقتراب من المكان واقتناء وتنقيب اللُقى الاثرية غالية الثمن, لقد سلط البحث الضوء على أهمية المكان في هذه الرواية فكان المكان فيها (شخصية بذاته)، وكانت الدراسة في شقين لتُثبت هذه (الشخصيّة): الأول في فاعلية الإستنطاق وتشخيص الموجودات اللاحيّة , والثاني في فاعلية الأصوات التي تُثار في المكان سواء كانت حيوانية ام خرافية , ثم اختتم بخلاصة, وقائمة من المصادر المُعتمدة , ومن الله التوفيق.

الباحثة

التمهيد

إن للمكان طرفي معادلة تقوم على جانبي الدال والمدلول. ففي وظيفته الخارجية تكمن وظيفة أخرى إجمالية دلالية تجعل للمكان فاعلية، وتأثيراً، وحركية تعكس ظلال اجتماعيّة يخلقها المكان في هندسة تعيد خلقه عن طريق سطوة صوّر الكلمات وإئتلاف المعاني والأفكار في شخصيات وازمنة متراصة تدفعها أحداث متكاملة منصهرة جميعاً في بوتقة المكان, "فالمكان في العمل الفنّي شخصية متماسكة, ومسافة مقاسة بالكلمات ورواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعيّة" [1], وكما تتعدد وجوه الشخصيّة في الرواية، فقد تقدم نفسها للقارئ بالإظهار, أو تلتمس التماساً وتتكون سماتها من مجموع ما يلتقطه القارئ عنها في حوارات داخلية ومونلوجيّة فضلاً عن اسلوب تعاطيها مع الحدث وتفاعلها مع غيرها من الشخصيات في الرواية, كذلك نجد (المكان) قد يتزيا بزيا الشخصيّة "ويصوغ حوارات فنيّة موحية يستطيع القارئ عبر ما تتضمنه من دلالة تكوين صورة محددة عن الشخصية. ان المفردات التي تستخدمها الشخصيّة ،والطريقة التي تتبعها في الكلام مع الآخرين تظهر مستواها الثقافي, وكلما اعتُمد الحوار في تقديمها كلما حققت غايات فنية أبعد وعلى نحو موح غير مباشر" [2] أذن ممكن أن يكون المكان (شخصيّة) أو ينصهر إلى (حدث) أو يتموج في زمان , وقد طغى على هذه الرواية موضوع البحث, تماثل (المكان) في شخصية تحكي , وتشعر , وتعشق, بل وتبوح وتبعث برسائل وتحاول الاغواء, بل وتغار وتنافس وتغتاظ , وتثرثر, لقد تداخل (المكان) في هذه الرواية بطريقة فنية جاذبة بالشخصية حتى استحال الى شخصية بذاتها فهذا نهر ساسي يقول: "**لا اريد ان يتحدث عني أحدهم ويرسم لك صورتي كما يشتهي ما زلتُ منساباً منذ القدم.. بما انك استمعت قبلي لتل ساسة ويوسف, فسأحرمك من الحديث عني, وسأتحدث عن بعض تجلياتي ومتعلقاتي وأهمها معشوقتي وعروسي سعدية الصياد**" [3].

فبينما نجد دالاً واقعياً في القول (منساباً منذ القدم) وهي صفة النهر عادة, نجد مدلولاً يجعل منه مؤنساً يهتم بما يُقال عنه في القول: (يرسم لك صورتي كما يشتهي) كما انه ينفعل فيغاضب الآخر الذي يحاوره في القول: (سأحرمك) وكذلك يحب ويصل حدّ العشق في الوصف: (معشوقتي) لقد تكونت له ملامح شخصية مُستنطقة محسوسة نلمسها بصوّر الكلمات المتخيلة, كما ان (المكان) في هذه الرواية يبعث (أصواتاً) تفوق الحكي مما تجعل منه شخصية تجيد التهويل والارعاب او الاغواء والانفعال: فالتل : "**ذلك**

التل الصغير ... كأنه يريد اغوائي بالتوقف عنده والاقتراب منه أكثر ليبوح لي بشيء او ليبعث برسالة ... قُبيل المغادرة سمعتُ حفيفاً كأن أصواتاً تهمس لي" [4].

1/ فاعلية التشخيص

إن فاعلية أي نص أدبي تأتي من مقوماته الفنية التي تجعل منه مؤثراً , وتلك المقومات تختلف باختلاف ابداع المنتج وتجربته الأدبيّة واحكام خياله في نسج مؤثرات مقنعة ترسل بصدقها الفنيّ عبر اللغة الفنيّة إلى متلقيه, وتخلق الجاذبية التي تُعمل ذهن المتلقي على تقليب الفكرة ،وتأويلها، والبحث في مكنوناتها (فالفاعل): "هو الوحدة الخفية لظهور المضمون, أو هو وحدة تركيبية ذات طابع شكلي سابقة على كل استثمار دلالي أو أيديولوجي, والفعالية في الاستعمال العام قدرة الانتاج بأقل مجهود أي هي قدرة التنفيذ, والفعّال وظيفة تعمل اللغة بوساطتها في متلقي الخبر كلام يؤثر في علاقات المتحدثين، ويحيل فعل الكلام على ميدان التواصل، وعلى الكفاءة الادراكيّة للفاعل" [5]. إن تشخيص (المكان) في هذه الرواية كان عن عمد من الراوي ليجعل لها جاذبية غرائبيّة تعكس ظلال الفضاء الفكريّ والاجتماعيّ لسكان قرى الجنوب، وبعض عاداتهم ،"كغسل العار"، وتحريم تزويج المعشوق للعاشق , والاعتقاد بأساطير الجن والطنطل... ولذلك أضفى على الأمكنة سمة التشخيص أي استنطاق الجماد (كالتل، والنهر، والقرية، والبستان) فضلاً عن ليلة دخول العيد, ويوم التعرية, ويوم الجز... "والتشخيص تنتقل فيه سمات أو لوازم الكائنات الحية لأشياء غير حية, وهو نقل جمالي يضع الشيء في غير موضعه، وينقل المعنى من تصور إحساسي غالب إلى تصور آخر" [6].

من المعلوم أن (التحدث) صفة إنسانيّة قد جعلها الروائيّ بفعالية مؤثرة صفة لازمة (للمكان) ،فكان يكثر من (يحدثني, تحدث ‘إلي, يتحدث عن ...) :

"**تساءلتُ مع نفسي ... أذن لماذا تحدث الي المكان بكل ما فيه؟ ما الذي دفعه لذلك؟ وماذا كان يبتغي؟**"[7]. وفي مقام الحديث عن يحيى المجنون الذي أوهموه بدخول المكان المسكون، وأرعبوه على أن هنالك اشباحاً ،وما هم في الحقيقة إلاّ سراقاً للآثار يشيعون اشاعات الجن في المكان حتى يتسنى لهم البحث، وبيع الآثار كلما وجدوا قطعًا, وثمة يوسف الصديق المقرب ليحيى , إذ يقول التل:

"إحتضنت برفق جسد صديقي يوسف ... , ودثرته بشرشف ناعم من ترابي .. كان أملي الوحيد .. "[8].

فالتل (يحتضـــن) ،ويحن كما الأحياء, ثّم أنه يرفق ويتلطف في حملهِ وتدثيره, بدا (المكان/التل) معادلاً موضوعّياً لصديقه (يحيى) الذي أصابه الجنون قبل أن يغادره بعد سنين, ولذلك مثّل الاستيحاش : "كان أملي الوحيد" إنما هو استيحاش لصديقهِ القديم, وللمكان الذي كان يجمعهما في الصغر, لقد جعل الراوي من المكان شخصية لها سمات الشعور الكامل ،والحساسية المرهفة مما أضفى فاعلية جاذبة فنياً , مع وجود قرينة دالة عليه وهو(التراب) , وفي موضـــع آخر (النهر) يغتاض على منافس ينافســـه على قلب (سعدية), وسعدية هذه شخصية تهرب مع عشيقها فيتعقبها الأهل وتموت غرقاً: "**كان مرور جبر يغيضني ... لأنه كان ينافسني على قلب سعدية**" [9] .

أما (القرية/المكان) فنجد إنها حين تتحدث تصف النهر (بالثرثرة) وهي صفة مستنطقة إنسانيّة, ثمّ تصف نفســها (بالتحدي) وتنعته (بالمغرور الغامض) أي النهر, ثمّ تفصــح عن ســبب تســميتها (بقرية الجدي) وتعكس جانب من الأســاطير المشــاعة التي لها علاقة بنجم الجدي, أو بالجن الذي يحيط بالمكان: "هذا النهر الذي اغفو على ضفافه ... لا يكف عن الثرثرة مثل مياهه ويريد ايهامك أن لا سبب يدفعه للحديث ! ... دعك من هذا المغرور الغامض واستمع اليّ : تسميتي ليس لها علاقة بنجم الجدي ..." [10].

يتداخل (المكان الدال/ بالشخصية المدلول) فهي تصف نفسها أي (القرية) بما توصف به (القرى/ المكان) ولكن المدلول هو الذي يجعل منها : سكناً روحياً, وموطناً ومأوى, يضــل الإنســان غريباً عنه مغتربا في ذاتهِ, إذ تقول القرية: "**في الحقيقة أنا قرية بهيأة عش كبير, يغادرني عصافيري بمجرد ان ينبت ريشهم وتصبح اجنحتهم قادرة على حملهم الى المدن... عصفوري الوحيد الذي عاد اليّ هو يوسف...**" [11].

وفي مكان آخر من الرواية تتحد (القرية/المكان) لتكون صفاً جغرافياً فعالاً يستنطقه المكان دلالياً:

"المهم إني والتل والنهر موجودين هنا منذ القدم ويعرف بعضنا بعض الآخر جيداً ويحفظ اسراره " [12].

نلحظ كيف تحمل كلمات القرية حنية الأصدقاء الذين يلازم بعضهم بعضاً في كل فرح أو حزن وبوح.

تتدافع الأمكنة بالشخصيات حتى تبدو كأنها واحد متحد (فالنهر) يعيب الاستماع إلى شخصية (مطر) حتى كأنه منافس له في حديثه, ويسفه كلامه وأخباره, بل يحط من حديثه ليرفع من حديث نفسه, ليكون هو الشخصية بذاتهِ اي (النهر) قِبال شخصية (مطر) : "عجباً لك! لم يبق الّا هذا المخبول. فتستمع اليه

قبلي! ما الاثارة في حكايته هذه؟ التي لا يستطيع أحد الجزم ان كانت حقيقية أم أنها من بنات جنونه؟ هل رأيت في حكايته ملاكاً مثل سعدية؟ " [13].

أما (التل/ المكان) في موضـــع آخر من الرواية وهي تحكي عن جنون (يحيى) لدخولهِ ذلك المكان الذي يُشاع عنه (مسكون). فالتل هنا يكره (الشر) ،ويستقبح فعل اللصوص, ويستكره جعله مقبرة لنساء يُتهمن بالعار أو جعله مدفن لأطفال صغار أو أن يكون محلاً لدفن أعمال الساحرات الشيطانية: "تل ساسة فعل ما فعل بيحيى: لأنه ضاق ذرعاً من اتخاذه مقبرة رخيصة ... سئم من تعاقب الساحرات عليه لدفن عمل شيطاني" [14].

وتحدثنا (القرية) ،وكأنها شـخصـية معنية بكل ما يحيط بها من اضـطرابات وتغير في المجتمع والحياة, خاصة في حديث الرواية عن (الحزبي شنشل، وتقاريره السرية) وتسترجع حروب ماضية في عقد الثمانين، وما حصـل لابناء تلك المدن: "أنا بعيدة عن السـياسـة وصـراعاتها التي تجري في المدن لكني أتأثر بها، وبها ويذهب بعض ابنائي وقوداً لتلك الصـراعات ... حرب الثمانينات وحدها التي كانت تقض مضـجعي طوال سنواتها الثمان حيث تعكر صفو سكينتي وهدوئي بين الحين والآخر بارسال الجثث..."[15].

ويضل (النهر) يترنم بعشقه (لسعدية)، وكأنه شخصية قد ذاقت لوعة فراق الحب حتى تصفه بهذه الدقة:

"كيف يظنون أن بامكان القبور دفن العاشقين؟! أن كان لسعدية قبر؛ فلن يكون غير قلبي"[16].

ويصف (النهر) هذا الحب بالعظمة ويشعرنا بعاطفة ،ورومانسية العاشق إذ يقول: "لستُ جديراً بذلك الحب العظيم, أن لم اسمح لسعدية سَحرا أن تتمشى على ضفتي تحت ضوء القمر بل أنيأاحب ذلك كيف لا اسـمح لطيفها بالذهاب إلى أي مكان تشـاء" [17], وتحدثنا (القرية) على أنها أنسـان قد تغير بفعل الزمن فتطور أو تحجم او واكب الحياة كيفما كانت : "لم أعد قرية كما تركني ولا صرت مدينة" [18].

فهي دال على مدلول أجتماعي يصف مدى ما طرأ على أفرادها من تغير أو تبدل.

ونقرأ ملامح (القرية/ المكان) في حديثها عن (يوســـف) الذي غادرها ،وعاد بعد(15) عام, تحدثنا وكأنها (أمرأة) تحس وتقارن وتصف: "**لم يعد يسمع صوتي يوم كنت شعلة من نشاط ... عندما كنت استيقظ كل صباح على صياح الديكة... كان لي فيما مضى أصوات تُكسبني نكهة القرية كنباح الكلاب ،وعواء**

الثعالب...، وصـــياح يحيى المجنون ... ســـمعني اتكلم بلغة مشـــوهة غير التي كنت اتكلم بها يوم هجرني... ربما هي لغة بحد ذاتها مكونة من بقايا مفردات سومرية" [19].

فلها أصوات, ولها ذكريات , ولها لغة, ولها حيوية تناقض خمول الحاضر الذي عمّ بها بعد التغيير، وكل هذا فعّل دور المكان ليكون مُشخصاً ومؤثراً.

2/ فاعلية الصّوت

إن لكل طرف من أطراف المكان وزواياه في رواية (أصـــوات من هناك), دال يبعث على مدلول يجعل لمكانية الرواية فعّالية مؤثرة في المتلقي, أن الانفصال والاتصال دائمين وطبيعة الثنائية قائمة أساساً على طبيعة الحياة ،وانشطار الوجودين لكن بشرط حضورهما معاً ليعي ويعترف كل منهما بالآخر" [20].

لقد بدت ثنائية الدال والمدلول المكانيّة في هذه الرواية شبيه بثنائية (الذات والآخر) لما بينهما من وشائج حسية تؤدي إلى معنوية المكان وتشخيصه "أن أيسر السبل في التعامل مع المكان استعماله على وجه الحقيقة كأن يدل على موقع معلوم أو مجهول ... إلّا أن اســاليب العرض تتفاوت جودة وحســنا بحســب السبك وقوة العبارة وبناء النسق اللغوي المصاحب له ...., وعندما تتسع الهوة الدلالية بين الدال والدلالة وتتلاشــى معالم المرجعية الأولى تتعدد الاحتمالات الممكنة الأمر الذي ينشــئ التذبذب بين اللذة والخيبة" [21], لقد تعددت النغمات ،والنبرات الصوتية، وتنوعت وهي تنبعث من أمكنة الرواية: "**لاحقني الهمس إلى السيارة ،والشارع ،والبيت ، والعمل في الصحو والمنام عند تناول الطعام عند الحديث مع أحد, التبست عليّ تلك الأصوات, فأمسيت أتخيل ان كل شيء في ذلك المكان يحدثني**" [22].

فالدال غرائبي جعل الراوي يلتمس مدلولاً يفك به حيرته ليخبرنا أن (المكان) يحدثهُ فتتلاحم الأصـــوات مع القرية المُشــخصــة لتكون أم حنون: "القرية أم شــعرت بالبرد في حجرها!... لم يبق ما يشــعرني بوجودها سوى تل ساسة ... لا يؤنس وحشتي سوى صوت خافت لطائر القصب"[23].

وتختلط أصــوات الواقع بالتوهم والأســاطير التي كانت تُحاك عمداً : "أنه يســمع أصــواتاً غريبة تنبعث من جهتي ،وهو نائم في قصره الذي يقع في الجهة المقابلة"[24], ويمدنا المكان المشخص بأصوات متعالقة به كصــوت (مزار مســيرة) : "مزاري قريب من التل حيث تحوم روحي حول هذه الأمكنة... أســتمع اليهم... تعيد الأمهات والجدات حكايتي" [25].

ويتفنن الروائي في إسماعنا أصوات أخرى منبعثة تتعالق بالمكان زمانيّاً وتصف نفسها موضحة ومفسرة ،ومثل (ليلة عيد الدخول) "أنا ليلة الاعتدال الربيعيّ (21 آذار من عام 2006) أما ليلة عيد الدخول فهو اسمي المحلي" [26], فضلاً عن أيام أخرى يرد ذكرها في الرواية، ولها صلة بتلك الأمكنة المُشخصة تؤدي صـــوتاً فعّالاً يجعل للمكان حركية (كيوم الجز): "رغم أني من الأيام الجميلة في حياة جمهورية ... لكنها رغم كل هذا تريد مصادرة صوتي وتتحدث بدلاً عني! عجيب أمركم" [27].

وهو يوم كانوا يقومون فيه بجز أصـــواف الغنم لكنه كان محفوفاً بالذكريات والأصـــوات في تلك الأمكنة, فضـلاً عن (ليلة العربي) [28] وهي ليلة عيد الدخول الّا ان يوسف سماها بهذا نسبة إلى حادثة صديقه يحيى الذي أصُـيب فيها بالجنون, بعد اقتحامه ذلك التل الذي يدعي فيه السحرة انه مسكون, وهو محل لآثار قديمة.

ومن الأيام المرتبطة بالأمكنة في الرواية (يوم الذرعة) وهو أن يقوم خبير بحساب مساحة الأرض لمن أراد البيع والشراء: "ليس يوم الجز بأفضل مني؛ فقد كنت من أيامهم المميزة ... كلما أراد أحدهم بيع وضمان وفلاحة أرض زراعية حيث يحتاجون في مثل هذه الحالات (لذاروع)" [29], كما يضـــفي الروائي حركية المكان وقعقعة تشخيصية في محتويات أخرى من متعلقات الامكنة من مثل**(طبق الخوص, مغزل شمخة, جلسة تحضير الأرواح, سفينة, التابعة, قاعدة اسماء , بستان الحساوي, تمثال)** [30], ولكل من هذه المحتويات علاقة مكانية تشخيصة صوتية فعّالة تؤدي دورها في الرواية مؤثرة في المتلقي.

إن متعلقات المكان تؤدي معادلة يسهم بعظها في الوصول إلى الآخر , (فوردة) تستوعب أسرار القرية, و(طبق الخوص) من متعلقات وردة. وذلك الطبق يُحكى له. وهي اشارة صوتية, أي أنه يُستنطق مما يدل على فاعلية أصـــوات المكان وحركيته ومتعلقاته: أنا طبق من الخوص, كان قدري ان تتخذني وردة – لا لتقديم الطعام كما يُستعمل أقراني عادة – أداة اثيرة لكثير من أعمالها السحرية... كانت تعتبرني مخلوقاً... تتحدث معي وتستشيرني! تحكي لي عن حياتها حكايات ...., وردة مستودع اسرار قرية الجدي كلها" [31]. إن التشخيص باديا من القول (كانت تعتبرني مخلوقاً, وتتحدث, وتستشير) كل هذا يبعث أصواتاً حركية موحية بالاحســـاس من فعل الاســـتشـــارة ودالة في بوتقة المكان, وقوله (تعتبرني) أشـــارة إلى جدلية الدال/المدلول في ممر الحقيقة والافتراض.

ومن متعلقات المكان التي كان لها أثرٌ فعالٌ حركيٌ (مغزل شـــمخة) في (التل) ويقف وراء الجدل حول خرافيتهِ من جدواه مدلولاً على صـــوتيته, فكان الســـكان يلجأون لوردة كلما حدثت معركة لمعرفة أحوال ابنائهم أن كانوا من القتلى أم من الأحياء, حيث تضـــع وردة خطين متقاطعين كعلامة الزائد أحدهما من الطحين والآخر من الرماد وتهمس:

"**يامغزل شمخة... ان كان سيأتي عن قريب, فسر على البياض, وأن كان أسيراً فطريقك الرماد... كثيراً ما حذرهم ملا عليخان من ان ما تقوم به وردة خزعبلات لا غير... وان سيحرقني ان حظي بي يوما ما , ما ذنبي انا ليهدد الملا بحرقي؟**" [32], ان ذلك التحذير والتهديد بالحرق أنما مثّل مدلولاً لدال تشخيصي أكده لنا الراوي في واحد من متعلقات (المكان/التل) بين كينونتهِ غير الحية, ودلالتهِ على الإخبار بما لا يكون الّا للأحياء: "ألســـتُ في اعتقاده جماداً لا خيار لي؟ أم أنه مثل عدوته اللدودة وردة يعتبرني من ســخنه؟ وإذ كان كذلك لماذا يهدد بحرقي؟ ... كان آخر اســتخدام لي, ليلة اقيمت جلســة التحضــير عند التل" [33].

ومن متعلقات المكان تتعالق الاحداث بالشخصيات متفاعلة في اقامة (أصوات متنوعة) من مثل الصلوات على النبي (بصوت مسموع) في مخاطبة الأرواح بالانصراف, او (التمتمة)؛ "يبدو أن تلك الأرواح جاءت بنتائج عكسية... فصارت الصرايف السبعة التي تحيط بالتل كأنها بوابات سد عظيم" [34], ومن الأصوات (الصراخ): "**صرخت بهما وردة وهي ترتجف : هذه سفينة نقل الأرواح ... خاطبتها روح يوسف بصوت لم يبد أن وردة تسمعه**" [35].

نلحظ تدرجات في وصف الصوت الملحق بالمكان بين المسموع والتمتمة أو الهمس، وغير المسموع، وبين الصراخ.

ومن المتعلقات بمكان (التل) الســفينة وهي صــغيرة من الفخار بحجم الكف التي بقيت مطمورة فترة طويلة تحت ثري (تل ســاســة), وظهرت مع حفريات مطر الهولي, وأصــبحت لُقية مشــتركة لفتيان يلعبون قرب التل, ثمّ تحولت إلى (رهان) يُعطى لمن يذهب إلى (التل) ليلاً, ان في مدلولها المكاني (الرضــى والشــعور بالاهانة) وهما محتوى مكاني ومنطلق تشخيصيّ أضفى حركية صاخبة وحيوية للمكان:

"غيلان يريدني مقابل ملابس واحذية... هل تتصور فضاعة الاهانة؟! ... كان اتخاذي رهاناً قد أرضاني قليلاً" [36].

أما الأمر الدلاليّ الآخر فهو ما يتعلق بصـــلب محورية فكرة الرواية, وهو جعل هذا التشـــخيص المكانيّ داعم يطعن فكرة السحر ،ويعزز كون (التل) مكاناً أثرياً:

"إن وجودي – ان عرف به الآخرون– يُعتبر دليلاً على صحة قول معلم التاريخ بأن ساسة تل أثري , ويدعم قول ملا عليخان عن وجود كنوز مدخرة فيه إلى آخر الزمان ويدحض أقواله..." [37].

ويلحق بمتعلقات المكان (القرية) المعتقد والخرافة التي تصـــطبغ بصـــبغة حيوية وفاعلة في حياتهم تملك سطوة وحتمية لديهم من ذلك (التابعة) وقولها:

"يعتقد أهالي القرية أني جنية ازور المرأة الحامل في الرؤيا, واســقط جنينها ان كان ذكراً..., لم ازورها في الرؤيا – كما افترضـوا – ليصـدقوا وهمهم فأظل شـغلهم الشـاغل , لاني اسـتمد الحياة من ذلك الوهم" [38], ويدخل ضـمن متعلقات (القرية) متعلقات معنوية وليسـت حسـية من مثل (قاعدة الأسـماء) ،وتمثل علاقة متينة بين المكان ومعتقداتهِ, وبين القرية وافرادها:

"من خلالي يمكن للقروي معرفة القروي من اي طبقة اجتماعيّة ينحدر... فالشـيوخ والاقطاعيون يسـمون أبناءهم عادة فيصل ونوري, السادة جعفر وطاهر , الفلاحون خنيفر وزبالة... والبعثيون تأميم وصدام..." [39] , تتحدث الأمكنة عن نفســها في هذه الرواية حتى لكأنها كائنات متنوعة فالبســتان يقول:**"كي تكتمل الحكاية في ذهنك, لابد من الاسـتماع اليّ, لأني شـاهد على حياة هؤلاء المتحدثين ومسـرح سـهراتهم الليلية في الكوخ الذي يقع تحت أحدى اشجاري..."** [40].

وتلك الكائنات تتنوع ويتنوع حديثها تباعاً وتظل تلك الأشارة إلى دلالتها بين الحقيقة والوهم في قوله "يُنطق الحجر" فضـــلاً عن دلالة (الخرافة) وأثرها في تفعيل (الاعتقاد) في المكان في هذا التضـــاد بين الحقيقة ومنجرفاتها الخرافية.

فقد تحولت الحقيقة تدريجياً الى اعتقاد جازم لوجود شبه بين المنحوت وبين امرأة مقتولة مدفونه في (التل): **"انا تمثال صـغير من الحجر, نحتني عاشـق ولهان بشـكل رأس حبيبته... قضـى أيامه يُكلمني حتى**

ظننت اني حبيبته فعلاً... كان بعض أهالي ساسة يتصوره قديساً يُنطق الحجر, يوم موته دفنني معه بعض المعتقدين بقدسيته... وجدني يحيى الصياد... ولم يخبر أحداً بوجودي سوى جدته (ريشة) البدوية كان يتأملني ويضع بجانبي صورة فتاة تشبهني كثيراً. وضعني أمام جدته ذات مرة وقال لها: هل تلاحظين الشبه الكبير؟! بكت جدته... وعندما الح عليها قالت له بغضب: لأنها مخطئة حولها الله إلى حجر" [41].

الخاتمة

لقد توصل إلبحث الى خلاصة تقوم على أهمية (المكان)، وتخريجه عن المفهوم الخارجي الذي يقوم على الوعائية في الاحتواء, بل هو مدلول فعّال وجدناه في بطون هذه الرواية, التي عمد الروائي الى (تشخيص) أمكنتها فقد تمظهرت الأمكنة بخاصية (الحديث, والصوت) فضلاً عن (الانفعال والاحساس) وهي سمات تشخيصية يُستنطق بها المكان, لقد كان المكان نسجياً في هذه الرواية يقوم على ثلاث دعائم (التل/ القرية/النهر) محاطاً بغرائبية السحر، والشعوذة ،وقروية معتقدات الشخصيات في خضم أحداث شكل شخص المكان، وصوته الصادح محور وباعث فعّال جعل الرواية موفقة في التأثير في المتلقي .

الباحثة

الهوامش

[1])الرواية والمكان, ياسين النصير:17.

[2])ينظر: تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية, أثير عادل شواي:167.

[3])اصوات من هناك, نعيم ال مسافر: 13.

[4])أصوات من هناك : 5.

[5])يُنظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة, د. سعيد علوش: 165-166-167-168.

[6])يُنظر: ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي , د. حمد العبد:134-135.

[7])أصوات من هناك: 6.

[8])المصدر نفسه: 11.

[9])اصوات هناك: 14.

[10])المصدر نفسه :15

[11])أصوات من هناك:16.

[12])المصدر نفسه:21.

[13])أصوات من هناك:41.

[14])المصدر نفسه:94.

[15]) المصدر نفسه: 105-106.

[16])أصوات من هناك:137.

[17])المصدر نفسه:139.

[18]) المصدر نفسه:143.

[19])أصوات من هناك: 150-151.

[20]) صورة الآخر في قصص سناء شعلان , سناء جبار العبودي: 31.

[21])يُنظر: فلسفة المكان في الشعر العربي, د. حبيب موشي: 82.

[22])أصوات من هناك: 5.

[23])المصدر نفسه:9.

[24]) نفسه:11.

[25])يُنظر: نفسه:61.

[26])اصوات من هناك:27.

[27])المصدر نفسه:49.

[28])يُنظر: نفسه:61.

[29]) نفسه:98.

[30])يُنظر: اصوات من هناك 53-54-55-56-64-75-78-80-148.

[31])المصدر نفسه: 53-54.

[32])أصوات من هناك:54-55.

[33]) المصدر نفسه: : 55.

[34]) المصدر نفسه:57.

[35])أصوات من هناك:57.

[36])المصدر نفسه: 65.

[37])اصوات من هناك :65.

[38]) المصدر نفسه:75-77

[39]) المصدر نفسه:78.

[40])أصوات من هناك: 80.

[41])المصدر نفسه: 148.

المصادر

1- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي, د.محمد العبد, مكتبة الآداب, القاهرة, ط2, 2007م.

2- أصوات من هناك, نعيم آل مسافر , العراق – بصرة , ط1, 2017م.

3- تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية, أثير عادل شواي, ط1, بغداد,2009م.

4- الرواية والمكان, ياسين النصير, دار الشؤون الثقافية, بغداد،الموسوعة الصغيرة /195 .

5- صورة الآخر في قصص سناء شعلان , سناء جبار العبودي, سورية دمشق , مطبعة أمل الجديدة، ط1 ،2018 م.

6- فلسفة المكان في الشعر العربي, د. حبيب مونسي, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 2001م.

7- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة, د. سعيد علوش, دار الكتاب اللبناني, بيروت, ط1, 1985م.